الإلمام بمصحفِ الإمام

(مُصحفُ الخليفة الراشد
عثمان بن عفّان رضي الله عنه)

تأليف
أ.د. شامل الشَّاهين

تمهيد :

الحمدُ لله الذي أنزل الكتاب بالحق، ويسَّرَ حفظهُ في الصدور والسطور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه ورقات موجزات متواضعات مختصرات تتعلق بالمصاحف التي أرسلها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار وبمصحفه الشخصي المعروف بمصحف الإمام. وجعلتها في خمس مقدمات أو فرائد:

الأولى: في المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار الإسلامية.

الثانية: تتعلق بمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الشخصي "مصحف الإمام" .

الثالثة: حول مصحف قرطبة.

الرابعة: خصصتها في الادعاءات التي زعمت وجود مصحف الإمام أو المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار.

الخامسة: هي الخاتمة.

ثم جعلت لهذه المقدمات أربعة ملاحق، هي:

الملحق الأول: مصحف الصحابي عقبة بن نافع رضي الله عنه.

الملحق الثاني: من المخطوطات النادرة للقرآن الكريم في خزائن تركيا والتي كتبت في القرون الخمسة الأولى للهجرة.

الملحق الثالث: نسخة تنسب إلى مصحف الإمام مسكوكة بالذهب الخالص.

الملحق الرابع: الطبعات الأولى للمصحف في العالم.

كان القصد والغاية من هذه الورقات هو الوقوف على الآراء والمزاعم والادعاءات في وجود مصحف الإمام أو المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار دون التحقيق في آراء أهل الاختصاص علماء التاريخ والآثار.

سائلًا المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

والحمد لله رب العالمين.

إستانبول ١٢ربيع الأول ١٤٢٩

٢٠ آذار ٢٠٠٨

كتبه

أ.د. شامل الشَّاهين

المقدمة الأولى : المصاحف التي أرسلها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار الإسلامية :

في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه اتسعت الفتوحات الإسلامية وشملت بلاد أرمينية وأذربيجان، وكان حذيفة بن اليمان من بين الذين شهدوا فتح هذين البلدين[1]. ورأى اختلاف المسلمين في قراءة القرآن بسبب اختلاف اللهجات مما أدى إلى تعدد القراءات[2]، فسار إلى المدينة والتقى بالخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وقال له: " أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى" .

([1]) انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٦: ٩٩، حديث رقم ٤٦٠٤، فتح الباري لابن حجر ٩: ١١ ١٨٠، المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمر الداني ص٤، كتاب المصاحف لأبي عبد الله بن سليمان الأشعث السّجستاني، ص٢٠٤.

([2]) انظر: تذكرة الحفا للذهبي ١: ٨.

فقرر عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع القرآن الكريم في نسخ موحدة على قراءة واحدة بلسان قريش ترسل إلى الأمصار، وعليه بعث إلى السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أن ترسل مصحف أبي بكر رضي الله عنه ليأمر بنسخه، وأسند أمر ذلك إلى: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد ابن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث، وأمرهم بنسخ المصحف مرتب السور بلسان قريش لأنه نزل بلغتهم[1]. ولما فرغ النساخ من نسخ المصحف[2]

([1]) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني، ص٥، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١: ٤٨، المعجزة الكبرى لأبي زهرة ص٢٩، مفتاح الراغبين: أحمد إسماعيل يحيى ص٨٧.

([2]) المِصحف بكسر الميم لغة تميم، لأنه صُحف جمعت، فأخرجوه مُخْرَجَ مِفْعَل مما يتعاطى باليد. وأهل نجد يقولون: المُصحف بضم الميم كأنهم قالوا: أصْحِفَ، أي جمع وبعضه إلى بعض. وأهل الحجاز يقولون: مِصحف بكسر أخرجوه ما يتعاطى باليد.

قال النووي: "وفي المصحف ثلاثة لغات ضم الميم وكسرها وفتحها، فالضم والكسر مشهورتان، والضم ذكرها أبو جعفر النحاس وغيره". التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١٨٧.

= كما يقال مُطرَفٌ ومِطرفٌ، قال: وقوله: مُصحف من أَصْحِف أي جمعت فيه الصُّحفُ". تهذيب اللغة للأزهري باب صفح.

والمُصْحَفُ: مجموع من الصّحف في مجلد، وتجمع مَصَاحِفُ، وغلب استعماله في القرآن الكريم.

وسمي المصحف مصحفًا لأنه أصحَفَ، أي جعل جامعًا للصحف المكتوبة بين الدَّفتين.

وعند الأباضية: نسخة القرآن تمت أو لم تتم بل ولو ورقة واحدة.

وقد نشأت تسمية القرآن بالمصحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال السيوطي: "وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف" الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١: ٤٨.

والفرق بين الكتاب والمصحف: أن الكتاب يكون ورقة واحدة ويكون جملة أوراق، والمصحف لا يكون إلا جماعة أوراق صحفت، أي جمع بعضها إلى بعض، وأكثر ما يقال المصحف لمصحف القرآن.

قال المفسرون الفقهاء والمحدثين: باب فضل القراءة ناظرًا في المصحف.

انظر: معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٤٧٧، العين للفراهيدي ١: ١٩٣. جمهرة اللغة لابن دريد مادة (ح ص ن) ١: ٢٧٧، لسان العرب لابن منظور ٢: ٥١٢، معجم لغة الفقهاء ص٤٣٣، إعجاز القرآن للباقص١٥٥،غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٧٥، البرهان للزركشي ١: ٢١٤، ٢١٨، المعجم الوسيط ص٥٠٨.

وكتابته أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بإحراق ما عداه من مصحف أو مصاحف كانت موجودة آنذاك عند الصحابة رضي الله عنهم[1]. وذلك من أجل قطع جذور اختلاف المسلمين في القراءة. فلعل بعضهم قد كتب شيئًا من القرآن على غير وجه صحيح. وأراد بذلك أن يجمع الناس على مصحف واحد[2]. ثم أمر الخليفة عثمان رضي الله عنه أن تنسخ عدة نسخ من هذا المصحف لكي يرسل بها إلى الأمصار. اختلف في تحديد السنة التي تم فيها استنساخ المصاحف والأرجح أن ذلك كان سنة

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١: ٤٧٣، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩: ٢٤١، كتاب المصاحف لعبد الله بن سليمان الأشعث السجستاني ١: ٢٠٤.

(2) انظر: المصاحف للسجستاني ١: ٢١١ . ٢١٢، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١: ١٦٩ . ١٧٠، تاريخ دمشق لابن كثير ٣٩: ٢٤٨.

ثلاثين للهجرة. وكان من بين هذه المصاحف مصحف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الشخصي والذي عرف بـ "المصحف العثماني" أو بـ "مصحف الإمام"، كما عرفت هذه المصاحف والمرسلة إلى الأمصار بـ "مصاحف الأئمة" أو بـ "المصاحف العثمانية" أو بـ "مصاحف الأمصار"[1].

اختلف العلماء في عدد هذه المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار على أقوال، هي:

أولًا: إنها كانت أربعة؛ أرسلت إلى: الكوفة، والبصرة، والشام، وترك واحدًا في المدينة[2].

([1]) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص٤٠، البرهان في علوم القرآن للزركشي ١: ٢٣٥ . ٢٣٦، تاريخ القرآن الكريم محرر طاهر الكردي ص٣.

([2]) قال الزركشي "قال أبو عمر الداني في المقنع أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصحف جعله على أربعة نسخ وبعث إلى كل ناحية واحدًا، الكوفة والبصرة والشام، وترك واحدًا عنده، وقد قيل: أنه جعله سبع نسخ وزاد إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين، قال: والأول أصح وعليه الأئمة". البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ ٣٣٤.

ثانيًا: إنها كانت خمسة؛ أرسلت إلى: الكوفة، والبصرة، والشام، والمدينة، ومكة المكرمة.

ثالثًا: إنها كانت ستة؛ أرسلت إلى الكوفة، والبصرة، والشام، واليمن، واثنان منها بقي في المدينة المنورة.

رابعًا: إنها كانت سبعة؛ أرسلت إلى: الكوفة، والبصرة، والشام، واليمن، والبحرين[1]، ومكة المكرمة، وحبس واحدًا منها في المدينة المنورة.

الخامس: إنها كانت ثمانية؛ أرسلت إلى: الكوفة، والبصرة، والشام، واليمن، والبحرين، ومكة المكرمة، واثنان في المدينة.

السادس: إنها كانت تسعة؛ أرسلت إلى: الكوفة، والبصرة، والشام، واليمن، والبحرين، ومكة المكرمة، واثنان في المدينة، ومصحف الإمام[2].

---

(1) قال ابن العربي: "أما مصحف اليمن والبحرين فلم أسمع لهما خبر". أحكام القرآن لابن العربي ٤: ٤٧٥.

(2) انظر هذه الأقوال في: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١: ٣٣١، أحكام القرآن لابن العربي ٤: ٤٧٣ . ٤٧٦، الإتقان في علوم القرآن =

وذهب جمهور العلماء على أنها أربعة[1]، أو خمسة، هي:

١- مصحف المدينة.

٢- مصحف الكوفة.

٣- مصحف البصرة.

٤- مصحف الشام.

٥- مصحف مكة المكرمة.

= للسيوطي ١: ١٣٢، مناهل العرفان للزرقاني ١: ٣٣١، المعجزة الكبرى لأبي زهرة ص٣٠، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين: علي محمد ص١٦، جامع البيان في معرفة رسم القرآن: علي إسماعيل السيد هنداوي، ص٢١.

(1) وهو الأصح وعليه الأئمة.

قال الزركشي: " قال أبو عمر الداني في المقنع: أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصحف جعله على أربعة نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحدًا؛ الكوفة والبصرة والشام، وترك واحدًا عنده. وقد قيل: أنه جعله سبع نسخ وزاد إلى مكة، وإلى اليمن، وإلى البحرين. قال والأول أصح وعليه الأئمة ". البرهان في علوم القرآن للزركشي ١: ٣٣٤.

وانظر كذلك: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١٨٦ . ١٨٧.

لم يكتف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بإرسال المصاحف إلى الأمصار فحسب، وإنما بعث مع كل مصحف واحدًا من الصحابة يقرئ لمن أرسل إليهم المصحف، وغالبًا ما كانت قراءة الصحابي توافق ما كتب به المصحف، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ من المدني، وبعث عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع البصري، والمغيرة بن شهاب مع الشامي، وعبد الله بن السائب مع المكي[1][2].

منهج كتابة هذه المصاحف:

حدد عثمان رضي الله عنه مع الكُتَّاب رضي الله عنهم الأسس والنهج الذي يعتمدون عليه في نسخ المصاحف العثمانية، وهي:

١- لا يكتب شيء إلا بعد التحقق من أنه قرآن.

---

(١) وهذا يرجح الرواية التي تنص على أن مصاحف الأمصار كانت خمسة.

(٢) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني، ص١٨ . ٢٠، رسم المصحف وضبطه شعبان محمد إسماعيل، ص١٩

٢- لا يكتب شيء إلا بعد العلم بأنه استقر في العرضة الأخيرة.

٣- لا يكتب شيء إلا بعد التأكد أنه لم ينسخ.

٤- لا يكتب شيء إلا بعد عرضه على جمع من الصحابة.

٥- إذا اختلفوا في شيء من القرآن كتبوه بلغة قريش.

٦- يحافظ على القراءات المتواترة ولا تكتب قراءة غير متواترة.

٧- اللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات يرسم بصورة واحدة.

٨- اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات ويمكن رسمه في الخط محتملًا لها كلها يكتب برسم واحد.

٩- اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات ولا يمكن رسمه في الخط محتملًا لها يكتب في نسخة برسم يوافق بعض الوجوه وفي نسخة أخرى برسم يوافق الوجه الآخر[١].

سمات ومزايا هذه المصاحف:

كتبت هذه المصاحف العثمانية على الترتيب المكتوب في اللوح المحفوظ بتدقيق جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية بموضعها. مجردة من النقط والشكل، والذي عليه الجمهور في السلف والخلف أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة جامعة للعرضية الأخيرة التي عرضها الرسول صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام ولم تترك حرفًا منها[٢].

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١: ٣١١، دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل ص١٣٨ . ١٣٩. القرآن ونصوصه: عدنان زرزور، ص٨٥ . ٨٦، مباحث في علوم القرآن مناع القطان ص١٢٨.

(٢) انظر سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين علي محمد الضباع ص١٥

قال الزرقاني: " إن المصاحف العثمانية قد توافر فيها من المزايا ما لم يتوافر في غيرها، ومن هذه المزايا:

١- الاقتصار على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت روايته آحادًا.

٢- إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقرّ في العرضة الأخيرة.

٣- ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن.

٤- كتابتها كانت تجمع وحدة القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن.

٥- تجريدها من كل ما ليس قرآنًا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحًا للمعنى أو بيانًا لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك[١].

أولًا . مصحف المدينة:

كان هذا المصحف محفوظًا في خزانة كتب المدرسة الفاضلية التي بناها السلطان الفاضل عبد الرحيم البيساني

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١ ٠ ٣١٣ . ٣١٤.

العسقلاني في العصر الأيوبي. وقيل: نقله بعد ذلك السلطان الملك الأشرف قنصوه الغوري إلى القبة التي أنشأها اتجاه مدرسته ونقل إليها أيضًا الآثار النبوية[1]. وفي عام ١٣٠٥هـ نقل هذا المصحف إلى مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه، وفي عام ١٤٢٧هـ نقل إلى المكتبة المركزية للمخطوطات بالقاهرة.

وصف هذا المصحف:

يتكون هذا المصحف من ١٠٨٧ ورقة من الرق ومن القطع الكبير، وقياسها ٥٧سم × ٦٨سم. وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة ١٢ سطر، وارتفاعه ٤٠سم، ووزنه ٨٠ كيلو غرام، مكتوب بمداد داكن وبخط مكي، خال من النقط والزخارف، وتوجد فواصل بين السور عبارة عن رسوم نباتية متعددة الألوان.

---

(1) كما سنبينه بإذن الله تعالى في الإدعاءات على وجود مصحف الإمام في المقدمة الرابعة.

ثانيًا ـ مصحف الكوفة:

لم ترد أخبار عن هذا المصحف إلا القليل جدًا منها. ولعل سبب ذلك يعود إلى فقدانه المبكر في إحدى الفتن الكثيرة التي جرت في الكوفة.

قيل: إن هذه النسخة من المصحف هي التي وصلت إلى طشقند[1]. وقيل: إنها كانت محفوظة في طرطوس أمام جزيرة أرواد ثم نقلت إلى قلعة حمص وذلك في زمن الإمام السخاوي ثم نقلت إلى العاصمة دمشق أثناء الحرب العامة ثم أعيدت مرة أخرى إلى حمص.

والذي يبدو راجحًا أن مصحف طرطوس/حمص لا علاقة له بمصحف الكوفة المفقود، ولعل نسبته للكوفة بسبب أنه مكتوب بخط كوفي، وهذا الخط يرجع إلى عصر متأخر مما يؤكد أنه كتب فيما بعد القرن الأول الهجري[2].

---

(1) انظر: التعريف بمصحف الإمام في طبعة مصحف طشقند.

(2) بناءً على ما قرره العلماء المتخصصون في علم الخط والنقوش والكتابة، والله أعلى وأعلم.

ثالثًا . مصحف البصرة:

لا توجد معلومات عن هذا المصحف ومصيره، سوى أن ابن بطوطة ادعى رؤيته، وكتاب ابن بطوطة وصل إلينا عن طريق راوٍ متهم بالكذب فلا يمكن الاعتماد عليه.

وقيل: إن مصحف البصرة هو نفسه المصحف الذي نقل إلى طشقند، كما سنذكر بإذن الله عز وجل في الإدعاءات على وجود مصحف الإمام في المقدمة الرابعة.

رابعًا . مصحف الشام:

بقي هذا المصحف في بلاد الشام حتى وقت متأخر جدًا، وقد كان معروفًا شاهده كثير من العلماء[1]. وكان في الجامع

([1]) كالمتأخرين منهم مثل: ابن جبير (ت٦١٢هـ) وابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) وابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، وابن الحميري (ت٨٦٦هـ).

انظر: تفسير القرآن لابن كثير ١: ٣٤، رحلة ابن جبير ص٢٤٢، رحلة ابن بطوطة ١: ٥٤، الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري، ص٢٣٩.

الأموي حتى عام ١٣١٠هـ حيث شبت النار في الجامع واحترق ومن ضمن ما احترق مصحف الشام[١].

وقيل: أنه لم يحترق، وأنه نقل إلى إستانبول. قلت: وهذا القول ضعيف ولا يستند إلى أي دليل تاريخي أو توثيق علمي.

خامسًا . مصحف مكة المكرمة:

ذكرت أخبار هذا المصحف حتى القرن الثامن الهجري ومن ذلك أن ابن جبير رآه بمكة أثناء زيارته لها سنة ٥٧٨هـ، كما عينه ورآه أبو القاسم التجبي البستي بمكة المكرمة أواخر سنة ٦٩٦هـ، وكذلك تحدث عنه السمهودي (ت٩١١هـ) في مصنفه " وفاء الوفاء" . وذكره ابن بطوطة في رحلته وأنه بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه[٢] وابن جبير في رحلته[٣].

---

(١) انظر خطط الشام لمحمد كرد علي ٥: ٢٦٢، ومباحث علوم القرآن لصبحي الصالح ص٨٨.

(٢) انظر: رحلة ابن بطوطة ١: ٥٧.

(٣) انظر: رحلة ابن جبير ص٢٤٣.

المقدمة الثانية

مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه " مصحف الإمام "

جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه من الصحابة الحافظين الكرام بضعة على رأسهم زيد بن ثابت رضي الله عنه الجامع الأول والثقة والثبت الذين كان له فضل التثبت في كل كلمة وآية وكان جملة من ضمنهم إلى زيد ثلاثة هم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث. وقال لهذا الرهط من قريش: ما اختلفتم فيه أنتم وزيد، فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم[1].

لقد أمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا الرهط بكتابة مصحفه الشخصي وجمعه والذي كان يسمونه بـ "المصحف الإمام" [2] أو بـ " المصحف العثماني " ولم يكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا المصحف بيده كما هو عليه

([1]) انظر: المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة ص٢٩.

([2]) وسبب هذه التسمية "الإمام" هي مقولة عثمان بن عفان رضي الله عنه: (... يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إمامًا).